@ 241 @ سخط ا عليهم وفي العذاب هم خالدون * ولو كانوا يؤمنون با والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ول كن كثيرا منهم فاسقون) ^ يقول تعالى ، لنبيه صلى ا عليه وسلم : ^ (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق) ^ أي : لا تتجاوزوا وتتعدوا الحق إلى الباطل . وذلك كقولهم في المسيح ، ما تقدم حكايته عنهم . وكغلوهم في بعض المشايخ ، متبعين ^ (أهواء قوم قد ضلوا من قبل) ^ أي : تقدم ضلالهم . ^ (وأضلوا كثيرا) ^ من الناس ، بدعوتهم إياهم إلى الدين ، الذي هم عليه . ^ (وضلوا عن سواء السبيل) ^ أي : قصد الطريق ، فجمعوا بين الضلال والإضلال . وهؤلاء هم أئمة الضلال الذين حذر منهم ، من اتباع أهوائهم المردية ، وآرائهم المضلة . ثم قال تعالى : ^ (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل) ^ أي : طردوا وأبعدوا عن رحمة ا . ^ (على لسان داود عيسى ابن مريم) ^ أي : بشهادتهما وإقرارهما ، بأن الحجة قد قامت عليهم ، وعاندوها . ^ (ذلك) ^ الكفر واللعن ^ (بما عصوا وكانوا يعتدون) ^ أي : بعصيانهم ، وظلمهم لعباد ا ، صار سببا لكفرهم ، وبعدهم عن رحمة ا ، فإن للذنوب والظلم ، عقوبات . ومن معاصيهم التي أحلت بهم المثلات ، وأوقعت بهم العقوبات أنهم : ^ (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) ^ أي : كانوا يفعلون المنكر ، ولا ينهى بعضهم بعضا . فيشترك بذلك المباشر وغيره ، الذي سكت عن النهي عن المنكر ، مع قدرته على ذلك . وذلك يدل على تهاونهم بأمر ا ، وأن معصيته خفيفة عليهم . فلو كان لديهم تعظيم لربهم ، لغاروا لمحارمه ، ولغضبوا لغضبه . وإنما كان السكوت عن المنكر مع القدرة موجبا للعقوبة ، لما فيه من المفاسد العظيمة . منها : أن مجرد السكوت ، فعل معصية ، وإن لم يباشرها الساكت . فإنه كما يجب اجتناب المعصية فإنه يجب الإنكار على من فعل المعصية . ومنها : ما تقدم ، أنه يدل على التهاون بالمعاصي ، وقلة الاكتراث بها . ومنها : أن ذلك يجرىء العصاة والفسقة ، على الإكثار من المعاصي ، إذا لم يردعوا عنها ، فيزداد الشر ، وتعظم المصيبة الدينية والدنيوية ، ويكون لهم الشوكة والظهور . ثم بعد ذلك ، يضعف أهل الخير ، عن مقاومة أهل الشر ، حتى لا يقدرون على ما كانوا يقدرون عليه أولا . ومنها : أنه بترك الإنكار للمنكر يندرس العلم ، ويكثر الجهل . فإن المعصية مع تكررها وصدورها من كثير من الأشخاص ، وعدم إنكار أهل الدين والعلم لها يظن أنها ليست بمعصية ، وربما ظن الجاهل أنها عبادة مستحسنة . وأي مفسدة أعظم من اعتقاد ما حرم ا ، حلالا ؟ وانقلاب الحقائق على النفوس ورؤية الباطل حقا ؟ ومنها : أن بالسكوت على معصية العاصين ، ربما تزينت المعصية في صدور الناس ، واقتدى

بعضهم ببعض . فالإنسان ، مولع بالاقتداء بأحزابه ، وبني جنسه . ومنها ومنها . فلما كان السكوت على الإنكار بهذه المثابة ، نص ا تعالى ، أن بني إسرائيل الكفار منهم ، لعنهم بمعاصيهم ، واعتدائهم ، وخص من ذلك هذا المنكر العظيم . ^ (لبئس ما كانوا يفعلون) ^ . ^ (ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا) ^ بالمحبة والموالاة والنصر . ^ (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم) ^ البضاعة الكاسدة ، والصفقة الخاسرة . وهي : سخط ا ، الذي يسخط لسخطه كل شيء ، والخلود الدائم في العذاب العظيم . فقد ظلمتهم أنفسهم ، حيث قدمت لهم ، هذا النزل ، غير الكريم . وقد ظلموا أنفسهم إذ فوتوها النعيم المقيم . ^ (ولو كانوا يؤمنون با والنبي وما أنزل إليه ، ما اتخذوهم أولياء) ^ . فإن الإيمان با وبالنبي ، وما أنزل إليه ، يوجب على العبد موالاة ربه ، وموالاة أوليائه ، ومعاداة من كفر به وعاداه ، وأوضع في معاصيه . فشرط ولاية ا والإيمان به ، أن لا يتخذ أعداء ا أولياء . وهؤلاء لم يوجد منهم الشرط ، فدل على انتفاء المشروط . ^ (ولكن كثيرا منهم فاسقون) ^ أي : خارجون عن طاعة ا والإيمان به ، وبالنبي . ومن فسقهم ، موالاة أعداء ا . ^ (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون * وإذا سمعوا مآ أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنآ آمنا فاكتبنا مع الشاهدين * وما لنا لا نؤمن با وما جآءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين * فأثابهم ا بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزآء المحسنين * والذين كفروا وكذبوا بآياتنآ أول ئك أصحاب الجحيم) ^ ثم قال تعالى : ^ (لتجدن أشد الناس عداوة) ! 2 2 ! (أصحاب الجحيم) ^ . يقول تعالى في بيان أقرب الطائفتين إلى المسلمين ، وإلى ولايتهم ، ومحبتهم ، وأبعدهم من ذلك : ^ (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) ^ . فهؤلاء الطائفتان على الإطلاق ، أعظم الناس معاداة للإسلام والمسلمين ، وأكثرهم سعيا في إيصال الضرر إليهم . وذلك ، لشدة بغضهم لهم ، بغيا ، وحسدا ، وعنادا ، وكفرا . ^ (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) ^ . وذكر تعالى لذلك عدة أسباب : منها : أن ^ (منهم قسيسين ورهبانا) ^ أي : علماء متزهدين ، وعبادا في